جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

المرحلة : الأولى

المادة : الأدب العربي قبل الإسلام

عنوان المحاضرة : النثر الجاهلي (الأمثال)

مدرس المادة : أ.م.د. بشّار سَعْدي إسْمَاعِيل

العام الدراسي 2025 / 2026

الأمثال

الأمثال : هي تلك الصيغ المتوارثة التي بولغ في تكثيف عباراتها ومعانيها ، حتى أن بعضها أفرطت عبارتها في قدم لغتها وشدة ايجازها ، وغموض معانيها حتى امست اشبه بالألغاز والأحاجي وطلاسم الكهان ، فلم تعد مفهومة لدى أوسع العلماء اطلاعا وتخصصا بالأمثال فكيف الناس ؟ لذلك وجدنا شارحي الأمثال يقفون منها موقف الحائر المتردد فيفسرونها وفق ما يعرفون من موضع الاستشهاد بها وراثة لا فهما . وعلى سبيل المثال فسروا المثل القائل : بعين ما ارينك . تفسيرا قلقا . قال أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال : هو من الكلام الذي عرف معناه سماعا من غير أن يدل عليه لفظه ، ومعناه : اسرع . لذلك لا يمكن فهم الأمثال إلا بالعودة إلى كتب شروحها .

والسبب في الغموض اللغوي والمعنوي في ((المثل)) يعود إلى أنه تلازمه طبيعة واحدة هي ثبوت روايته بلفظه كما قيل في الأصل ، فإذا كان المثل قد عرف النور في صيغة المفردة المؤنثة مثلا ، خوطب المفرد بنفس العبارة المؤنثة دون تغيير ، فيقال للرجل الذي اقترف ذنبا وندم عليه ، فعاد يكفر عن ذنبه ((الصيف ضيعتِ اللبن)) بكسر التاء لأن المثل في أصله قيل في امرأة قصتها في شروح الأمثال معروفة ، وكذلك استجيز في طائفة قليلة من الأمثال أن تخالف قواعد النحو والصرف والجموع كقولهم : اجناؤها ابناؤها ، جمع جان وبان وقياس المثل : جناتها بناتها . لأن فاعلا لا يجمع على افعال ، ومع ذلك فهذه الأمثلة قليلة جدا ، وغالبية الأمثال لا تشذ عن نظام العربية وإنما استشهدنا به لندلل على رأينا الأول في الأصل اللغوي للمثل وملازمته لهذا الأصل ، على الرغم من التطور الذي يحصل على اللغة مما يوهم باللحن أو الخروج على القواعد .

والظاهرة تفيدنا أيضا لتدلل لنا على أن الأمثال تنبع على العموم من مصادر شعبية ، فربما جاء بعضها مشوبا بشيء من اللحن أو الاضطراب في القواعد ، والرواة العلماء يقومونه أو الفصحاء من العرب أيضا يعدلونه في الاستعمال فيدخل في كتبهم أو حديثهم وخطبهم سليما ، إلا ما ندر فيبقى على شعبيته .

لقد وصل بعض هذه الأمثال منفردا وبعضها الآخر مجتمعا داخل قصة مطولة ، والأمثال المفردة قد تمثل حادثة تأريخية عظيمة في حياة العرب كانهدام سد ركامي هائل مثل سد مأرب أو هلاك قوم من الأقوام البائدة مثل عاد وثمود أو وقوع حادث جلل مثل عام الفيل .

وقد تكون الأمثال مفردة تعبر عن أحداث يومية اعتيادية أو اشخاص اعتياديين جدا لم يعرف لهم شأن ولا خطر بل عرف بعضهم بالحمق والجهل وسوء التصرف واخلاف المواعيد كقولهم (مواعيد عرقوب) .

واغلب الأمثال العربية تنطلق من القاعدة الشعبية للأمة ، فالمؤلف مجهول ، ولكن الرواة نصوا على بعض الأمثال وذكروا اسم قائليها ، فهي أمثال ابتكرتها الأمة على لسان ابطال الروايات ، أو أنها قيلت على السنة رجال عرفوا بالذكاء والفطنة والعقل والحكمة مثل أكثم بن صيفي ، وعامر بن الضرب العدواني أو رجال يعدون من الشخصيات التاريخية الموغلة في القدم . على أن الأمة قد تأخذ كلام البسطاء من الناس أو الاشخاص المغمورين أو ضعاف العقول من الحمقى والمجانين فتجعل منه أمثالا سائرة .

أما أكثم بن صيفي فلم تنحصر شخصيته في ابتكار الأمثال ، لأنه لم يكن قد قصد إليها وإنما جعلت الناس كلامه أمثالا ، لصلاحيتها لهذا الغرض ، وكان اكثم حكيم العرب وحكمها وخطيبها إلى جانب الرئاسة والسيادة والأخلاق العربية من كرم وشجاعة ومروءة .

ويقال : إنه لحق الاسلام وحاول أن يعلن اعتناقه للدين الجديد فلم يفلح ، لأنه مات في الطريق وقد ذكرت كتب الادب بعض حكمه وامثاله . ومن أمثلته قوله : ربّ عجلة تهب ريثا ، يضرب للرجل يشتد حرصه على حاجة ويخرق فيها حتى تذهب كلها ، فهو يضرب للحث على الصبر وعدم التسرع . ادرعوا الليل فإن الليل أخفى للويل . ومعناه افعل ما تريد ليلا لأنه استر لسرك . المرء يعجز لا محالة . ومعناه لا تضيق الحيل ومخارج الأمور إلا على العاجز . لا جماعة لمن اختلف . ومعناه أن صاحب الرأي الشاذ والمخالف لا مكان له وسط الجماعة . اسرع العقوبات عقوبة البغي .

ومن أمثلة الجاهلية قولهم : إنّ غدا لناظره قريب : يضرب للتريث والانتظار لوقوع المأمول . مكره أخاك لا بطل : يضرب لمن يحمل على ما يكره . فلان لا يصطلى بناره : يضرب للعزيز الممتنع . جاء بخفي حنين : يضرب لكل خائب أو خاسر . الصيف ضيعتِ اللبن : يضرب لمن يفرط في الأمر في وقته ، ويطلبه في غير وقته . كل فتاة بأبيها معجبة : يضرب لمن يعجب بما يخصه .

ومن كتب الأمثال التي وصلت إلينا ، والتي تمثل مؤلفات الجيل الثاني التي تضم أمثالا جاهلية وإسلامية كتاب المفضل الضّبي (ت 168 هـ) المعروف بكتاب الأمثال وقد جاء هذا الكتاب وفق منهج العلماء الأوائل في التأليف ، إذ يعمد المؤلف إلى ذكر المثل ثم شرحه مستطردا إلى ما يعترضه من لغة وخبر أو يوم من أيام العرب وذكر أحداثه التاريخية ومناسبته القومية أو المحلية التي ارتبط المثل بها ، وبذلك يكون هذا الكتاب قد قدم لنا أضافة إلى الأمثال أنواعا أخرى من نثر العرب قبل الإسلام في الحكاية والقصة والاسطورة ، وأيام العرب وطرائف الأخبار وكذلك المنافرة والمفاخرة والمفضل الضبّي لم يجرِ في كتابه على نسق في التأليف ولا على تبويب بعينه ، ويعد كتابه من بواكير التأليف في هذا الميدان .

ثم توالى التأليف في الأمثال فيما بعد من مثل كتاب الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام الذي يقال إنه أول كتاب استقصى ما لا يقل عن الف مثل ، وكذلك كتاب الأمثال لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت 209 هـ) الذي جاء بعشرة آلاف مثل ، غير أنه مازال مفقودا ، ثم جاء كتاب الفاخر فيما يلحن فيه العامة من الأمثال للمفضل بن سلمة بن عاصم (ت 290 هـ) ثم كتاب جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري (ت 395 هـ) وكتاب مجمع الأمثال للميداني (ت 518 هـ) وكتاب المستقصفي أمثال العرب للزمخشري (ت 538 هـ) . فهذه كانت أهم كتب الأمثال التي وصلت إلينا .